الفكر التكفيري في مرحلة ما بعد داعش والخيارات المطروحة

ا.م.د ولاء مهدي محمد حسين الجبوري
كلية التربية الاساسية / الجامعة المستنصرية / قسم التاريخ

المقدمة

تعد ظاهرة الإرهاب من اخطر الظواهر التي اثرت بشكل سلبي على واقع المجتمعات في العالم كله خاصة في جانبها الإنساني ، وقد تفاقمت خطورة هذه الظاهرة في عالمنا المعاصر بعد ان تحول الإرهاب الى ظاهرة عالمية تمس وتؤثر على جميع نواحي الحياة لشعوب العالم ، ولم يعد الإرهاب يخص طرفا او شعبا او دولة وانما شمل الجميع بغض النظر عن أسبابه و اشكاله و أهدافه وحتى طبيعة الجهات التي تقف وراءه ، ويبدو ان هذه الحقيقة ادركها المجتمع الدولي منذ بداية القرن العشرين وسعى الى محاربتها و الحد من آثارها المدمرة لجوانب الحياة الإنسانية والاقتصادية وحتى السياسية .

وقد ارتبط الإرهاب في المجتمعات الإسلامية والشرق أوسطية بالفكر التكفيري الذي تعود جذوره الى مرحلة صدر الإسلام حيث قمنا بتسليط الضوء على الفكر التكفيري من حيث دلالته وجذوره التاريخية واهم التيارات التي تفرعت عنه ومنَظريه وعلاقته بالإرهاب وأخيرا طرحنا أبرز الحلول لمواجهته وتجفيف منابعه تمهيدا للحد منه.

اولا . المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة التكفير .

١- المعنى اللغوي لكلمة التكفير.

قبل الحديث عن الارهاب وعلاقته بالتكفير لابد لنا أن نقف على معنى التكفير ودلالاته اللغوية.

- **تكفير (أسم) :**

تكفير : مصدر كَفّرّ
مصدر كَفَّر
حكم تكفيره : الحكم عليه بالإلحاد ، أي ابعاده وإخراجه من مبادئ دين الجماعة .

- **كَفَّر : (فعل) :**

كَفَّر / كفّر عن يكفر ، " تكفيراً ، فهو مُكّفِر ، والمفعول مُكَّفر للمعتدي "
كَفَّر الله عن الذنب : غفر له ، محاه ولم يعاقب عليه .
كَفَّر الشخص : حمله على الكفر .
كَفّرَ فلاناً : نسبه الى الكفر ، أو قال له كفرت .
كفر عن جريمته : خضع لعقاب أو تأديب تعويضاً عن الذنب أو خطأ " [١] .

" التفكير نسبه أحد المسلمين الى الكفر ، وإخراجه من ملة الإسلام ، ورد عن النبي في القرآن والسنة النبوية في الكثير من الاحاديث ، تعود بدايته الى معركة صفين وظهور فرقة الخوارج الذين اعتقدوا بكفر الإمام علي بن ابي طالب ومن معه لقبولهم بالتحكيم ، وتحكم جميع المذاهب الاسلامية بحرمته ، وكونه من المسائل الخطيرة التي تدعو الى الاختلاف وزرع الفرقة بين صفوف المسلمين وتمزيق وحدة الأمة الاسلامية ، وأنه حكم شرعي لا يجب التسرع في أطلاقه وأن لا يصدر الا عن المختصين في ذلك من الفقهاء ، والذي يجري طبقاً لضوابطه وشروط معينة ولأهمية المسألة ومالها من آثار خطيرة دنيوية ، وقد أقيمت المؤتمرات وألفت العديد من الكتب والمقالات في ذلك وأصدر علماء المذاهب الإسلامية فتوى بتحريم تكفير المسلم وتوصية عامة المسلمين بالابتعاد عن ذلك وعدم تسرع الفقهاء بإطلاقه [٢] .

٣- جذور الفكر التكفيري

يرى بعض الباحثون أن الإرهاب والتطرف والعنف قد رافق ظهور الإسلام من القرن الأول للهجرة النبوية الشريفة بظهور الخوارج بعد معركة صفين (٣٦ – ٣٧ هـ/ ٦٥٦ م – ٦٥٧ م) وهم فئة باغية خرجت على علي أبن أبي طالب (عليه السلام) واجتمعوا (بحروراء) من الكوفة ومن رؤوسهم حرقوص بن زهير البجلي، حيث كان أصل الخوارج كما قال لرسول الله عندما وزع غنائم هوازن يوم (حنين)، اذ جاءه ذو الخويصرة (وهو حرقوص بن زهير وقال له: أعدل يا رسول الله! فقال ص: ((ويلك ومن يعدل أذا لم أعدل؟)) وقد وصفهم الرسول في حديث أنهم قوم ((يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)). وحاربهم الامام علي بن ابي طالب في النهروان سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧م) وأستأصل شأفتهم ولكن بقيت شرذمة منهم، واشتهروا بالمارقين وهم فرق عديدة منها (المحكمة، الازارقة، النجدات، الاباضية، الصفرية، البيهسية، والعجاردة، والثعالبة،)وفروعهم وجميعهم يتبراون من الامام علي عليه السلام ويكفرون جميع المسلمسن.

ويتابع الباحثون تطور الفكر السلفي عبر التاريخ الإسلامي وبدايات تكفير الفرق لبعضها البعض حيث يرجع البعض جذور السلفية الى الامام (أحمد بن حنبل) (ت٢٤١ هـ/٨٥٥م) ويرى البعض الاخر امتداد التيار المتشدد لدى ابن تيمية (ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م) الذي يعد أمام السلفية في القرن السابع الهجري، أذ ظهرت أفكاره كرد فعل على الإصلاحات العقلية التي ادخلها الامام أبو الحسن الاشعري على عقائد أهل السنة(*) ، ما جعل أبن تيمية يعتبر تلك الأفكار والعقائد خروجاً على السنة، فعمل على أحياء عقائد اصل الحديث مستنكراً التأويلات التي قدمها الاشاعرة للاحاديث التي اخذت منها تلك العقائد، واطلق ابن تيمية على طريقته عنوان (منهاج السلف الصالح) فعرفت دعوته (بالسلفية) لأنه كان يدعو الى العودة الى سيرة السلف الصالح والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله، التي حاد عنها الاشاعرة والفرق الأخرى كما انكر الكثير من الأفكار والعقائد والمفاهيم بكل الفرق والمذاهب وعمل على اظهار عقائد جديدة لم ينادي

بها (احمد بن حنبل) مثل استنكاره السفر لزيارة قبر الرسول ورفضه الاحتفال بمولده الشريف ورفضه التبرك بآثار النبي والتوسل بأهل بيته ورفض زيارة القبور وعدها بدعاً وشركاً ومخالفة لعقدية التوحيد وانكر الكثير من الفضائل الواردة في حق اهل البيت، وعمد الى تكفير طائفة الشيعة وغيرهم من الطوائف وقد تبنى هذه الأفكار وطبقها على ارض الواقع فيما بعد محمد بن عبد الوهاب (١١١٥هـ، ١٢٠٦م) (١٧٠٣هـ، ١٧٩١م) مؤسس المذهب الوهابي اذ عمد الى تكفير عامة المسلمين ممن ليسوا على طريقته بدعوى الشرك وعدم الإخلاص لتوحيد الله ودعا الى ازاله ما يرونه بدعاً بقوة السيف (استخدام العنف والقتل) ومن ذلك تهديم اثار اهل البيت في مكة والمدينة المنورة.[٤]

ثانيا . ابرز مفكري التيارات التكفيرية .

أن ابرز مفكري داعش [٥] وهو احد ابرز التيارات التكفيرية المعاصرة هم (أبو همام الاثري) و(أبو الحسن الازري) و(أبو عبيدة الشنقيطي) الذين تكاملت لديهم فكرة التكفير والولاء والبراءة ونواقض الإسلام، وبايعوا أبو بكر البغدادي كخليفة للمؤمنين واجب الطاعة ودولته الوحيدة ذات الشرعية الإلهية . هذا فضلاً عن ابي بكر ناجي صاحب كتاب (أدارة التوحش) الصادر عام ٢٠٠٤ والذي قدم منهاجاً فكرياً وعملياتي للحركات الإسلامية الجهادية في أنشاء امارة مركزية تطبق الشريعة الإسلامية [٦] .

و يربط باحث اخر تيار السلفية الجهادية باتجاهات و تيارات معاصرة اهمها تيار الاخوان المسلمين ابتداء من حسن البناء المؤسس و تلميذه سيد قطب اذ رفضت كل الحكومات و الحكام بدعوى الحاكمية و كفرت جميع المجتمعات و المسلمة منها بدعوى جاهلية المجتمعات والمجموعة المعاصرة التي واكبت فكر القاعدة ومن بعده داعش وتظم ثلاثة اجيال: الاول (القاعدي) وفيه اسامة بن لادن وايمن الظواهري و المقدسي، و الثاني (القاعدة -الداعشي) وفيه ابو مصعب الزرقاوي وابو انس الشامي، و الثالث (الداعشي) وفيه الاثري والشنقيطي والازدي الذي سبق ذكرهم .ويقوم الفكر الجهادي السلفي المعاصر الذي تتبناه داعش على عدة مفاهيم وافكار اهمها وأكثرها خطورة مشروع اقامة الدولة الاسلامية التي تطبق الشريعة تمهيدا لاستعادة الخلافة من اجل بناء نظام اسلامي شامل يتقاطع مع الانظمة السائدة في مختلف المجالات والمستند الشرعي الذي يستند اليه هو (التكفير) حيث بين ايمن الظواهري مفتي تنظيم القاعدة بان التكفير هي الصفة التي تطلق على من ارتكب

١- الحكم بغير ما انزل الله

٢- الولاء والبراء (لعمالة الكفار)

مما سبق يتضح لنا بان القاعدة تستند على قول الحنابلة بمسألة (الكفر العملي) وملخصها ان ثمة اعمال يكون مرتكبها كافرا خارجا عن الملة، واهم هذه الاعمال (مسألتي الحاكمية والولاء والبراء) ولا يعني ذلك ان القاعدة والجهادية السلفية توقفوا عندها بل أضافوا اعمالا اخرى. ومن الأطروحات التي أضافوها، اعتبار الجهاد هو

الغاية من الوجود وانه سنه ربانية لا تكتمل الحياة الا به، وبانقسام الناس بقدر الله الى مؤمن وكافر بعد ان اختلفوا في الاستجابة لأمر الله الشرعي وبعبادته وحصل بموجب ذلك ان سلط الله كل فريق منهما على الاخر، وهما يتصارعان الى يوم القيامة اذ لا مهرب من حصول هذا النزاع والصراع الذي خلق الناس لأجله[٧] .

اما مبدأ (الحاكمية) الذي نادى به الظواهري وهو لديه ان شرعية اي نظام تعتمد اساساً على تحاكمه الى الشريعة، اما اغتصاب الحكام للسلطة فهو ذنب وظلم ولكنه لا يخرج النظام عن الشرعية .وفي المقابل ايضا فان مجيء اي حاكم للسلطة عبر صندوق الانتخابات لا يجعل حكمه شرعياً، بل الذي يجعل حكمه شرعياً التزامه بأحكام الاسلام. اما الحكومة التي يطالب بها الظواهري فهي حكومة الخلافة الراشدة التي تقوم على حاكمية الشريعة وليس على هوى الاغلبية فخلاص البشرية يكمن في دولة الخلافة التي تقوم على الشرع المنزل الصحيح .

اما المبدأ الاخير الذي اقتبسه داعش، والقاعدة من الاخوان المسلمين فهو (مبدأ التترس)، مفهوم التترس معناه (التستر بالترس) والمراد هنا ان يتستر الكفار بالحرب بمن لا يحل قتلهم اصلاً كالصبيان والنساء وكذلك يحل لهم التترس بالمسلمين الاسرى عندهم. وذلك هو التترس في الحرب، فيحل قتل هؤلاء الذين يترس من خلفهم الكفار ويمثل هذا الطرح لديهم انتقائية عالية في التعامل مع النصوص المقدسة التي حرمت دم المسلم [٨] .

بالتالي يحق لهم تفجير او قتل او استهداف الكفار في وسط الأبرياء الذين لا يحل ولا يجوز قتلهم فيصبح القتل عبر العربات المفخخة والتفجيرات امرا مشروعا مما انتج المزيد من العنف والإرهاب في المجتمعات الإسلامية و الشرق أوسطية.

ثالثا . الفكر التكفيري والإرهاب .

رافقت ظاهرة الإرهاب الحياة السياسية و الاجتماعية للمجتمعات منذ القدم واتخذت مظاهر عدائية مختلفة لتحقيق أغراض القائمين به وتعددت اساليبه تبعا لتغير المجتمعات البشرية وما رافقها من تطورات علمية وتقنية أدت كثرة ممارسة الارهاب الى فقدان الكلمة معناها المحدد واختلطت مع مفاهيم أخرى مثل حركات التمرد و العصيان والحركات الثورية وأصبحت هذه الظاهرة تندرج تحت باب العنف الثوري ، وبذلك اضفى على العامل الإرهابي الصفة الشرعية على انه عنف ثوري مما أدى الى تعدد وجهات النظر واختلافها في تعريف الارهاب وتحديد مفهومه والتفرقة بينه وبين الاعمال المشابه له ولا يفوتنا الإشارة الى ان ظاهرة الإرهاب السياسي ليست ظاهرة جديدة او دخيلة على المجتمعات المدنية المعاصرة وانما هو صنيعتها الى كون العمل الارهابي يؤدي الى انتهاك الحقوق الأساسية للإنسان ويؤدي الى تخريب المجتمعات الإنسانية ويقوده الى الدمار بدلاً من البناء و التطور سواء كان صادرا عن الحكومات او الجماعات السياسية او الافراد .وان كلمة الإرهاب غالبا ما تطلق على كثير من

الجرائم العادية الواقعة ضمن اطار الحق العام او على اعمال العنف المختلفة فضلاً عن قيام الكثير من المفكرين و الساسة باستغلال الإرهاب بغية تحقيق اهداف سياسية معينة [٩].

ويندرج الفكر التكفيري ضمن الإرهاب لما وضحناه أعلاه من ممارسات تلغي الاخر وترفض التعايش السلمي للأمم و الشعوب .

لمواجهة الفكر التكفيري لابد من ايلاء دور المدرسة والكلية والجامعة وكافة وسائل الاعلام وقنواته لتعزيز ثقافة الاعتدال والتسامح فيما بيننا وأن نؤكد مراراً وتكرار ان الدين يتعارض مع قتل الابرياء وأن قتل المسلم للمسلم حرام، وأن قتل المسلم لغير المسلم حرام.

الخاتمة

إن الإجراءات التعسفية التي تتخذها بعض الدول في مكافحة الإرهاب قد تؤدي إلى اتخاذه صوراً وأشكالاً مختلفة ومن جهة أخرى هناك دول تدعم الإرهاب مادياً أو عسكرياً أو إعلامياً وذلك لتحقق مكاسب ومنافع دولية وإقليمية. لذا وجب على المجتمع الدولي أن يوحد الجهود من أجل وضع حد للإرهاب والقضاء عليه وان لا يقتصر على الحلول العسكرية الفردية لهذه الدولة أو تلك بل وضع حلولاً جذرية يمكننا أن نوجزها وفق الآتي:

- تحديد مفهوم الإرهاب والمنظمات الإرهابية بشكل دقيق وصحيح تتفق بشأنه كل دول العالم.
- توحيد الجهود العسكرية الدولية لمواجهة الإرهاب عبر إقامة تحالف دولي لمحاربة الإرهاب ومطاردة الإرهابيين وقطع كل أشكال الدعم عنهم وخصوصاً الدعم المادي وفرض عقوبات على الدول التي تدعم الإرهاب وتعقب الجهات التي تقدم أي دعم للمنظمات الإرهابية.
- إن محاربة الإرهاب تقتضي مجابهة التطرف الفكري بكل صوره وأشكاله وذلك بإقامة مراكز الدراسات والمعاهد الفكرية التي تعمل على نشر ثقافة التسامح وحوار الحضارات، ونبذ التطرف بكل أشكاله وصوره ومحاربة العنف الديني عبر حوار الأديان والثقافات وهذا الأمر يتطلب وقتاً وجهداً وتعاوناً دولياً موسعاً لتوجيه أجهزة الإعلام العالمي للتعاون من أجل تجفيف منابع الفكر المتطرف والتكفيري. تعد الحرب الفكرية والإعلامية خطوة حاسمة في مواجهة الإرهاب وتحقيق السلم العالمي.

- إن التزام الحكومات بتطبيق الدستور وإنصاف شعوبها والقضاء على مسوغات اتخاذ العنف كوسيلة شعبية لاسترجاع حقوقها أو تنفيذ مطالب معينة، فالحكومات التي تحتضن شعوبها وتشعرهم بكرامتهم وحرياتهم وتمنحهم فرص التعبير عن آرائهم تكون أقل عرضة لانتشار الفكر المتطرف والتكفيري داخلياً، لذا وجب على دول العالم أن تواجه الإرهاب داخلها من خلال القضاء على أسباب التذمر والقلق الشعبي، كما يجب تحريم الفكر المتطرف دستوريا من خلال وضع قوانين تسترعها البرلمانات والمجالس التشريعية في العالم ومنع ترويج أي بضاعة تهدد التعايش السلمي وتدعو للعنف أو التطرف بمختلف صوره وأشكاله.

المصادر:

١. **معجم المعاني الجامع :**
تكفير https://www.almaang.com/ar/dict/ar-ar/
تكفير https://ar.wikipeda.org/wiki/

٢. عبد الأمير عيسى الاعرجي ، التطور التاريخي لنشوء الفرق الإرهابية ، ط١ النجف الاشرف .

٣. م.م. مؤيد جبار حسين، (قراءة في فكر تنظيم داعش في ضوء كتابه أدارة التوحش، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد الثالث عشر، العدد الرابع، انساني، ٢٠١٥.

٤. د. مازن شندب، داعش. ماهيته نشأته أرهابه أهدافه ستراتيجيته، ط١، الدار العربية للعلوم ناشران، بيروت .

٥. م. د. وائل منذر حسون و ا.م .د ولاء مهدي الجبوري واخرون ، دراسات في حقوق الانسان ، ط١ ، دار قناديل .٢٠١٧

٦ - أبو حامد الغزالي، ت٥٠٥ هـ، ١١١١م وكتابه (فضائح الباطنية) و(حجة الحق في الرد على الباطنية).

٧- ليستر، تشارلز، التنافس الجهادي، الدولة الإسلامية تتحدى تنظيم القاعدة، ط١، مركز بروكنجز، الدوحة ٢٠١٦.

٨- الحوار المتمدن العدد ٤٩٩٩ في ٢٠١٥/١١/٢٨.

٩- توفلر، الفين وهيدي تفلر، إنشاء حضارة جديدة سياسة الموجة الثالثة، ترجمة حافظ الجمالي، ط١، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨.

١٠- سليمان، منتهى طالب، تطور مفهوم الإرهاب في الفكر الغربي، بحث غير منشور.

الهوامش

١. أنظر : معجم المعاني الجامع : تكفير https://www.almaang.com/ar/dict/ar-ar/

٢. أنظر : تكفير https://ar.wikipeda.org/wiki/

٣. انظر: عبد الأمير عيسى الاعرجي ، التطور التاريخي لنشوء الفرق الإرهابية ، ط١ النجف الاشرف ص ١٠ .

(*) ابرز كتب ابن تيمية في هذا الجانب في كتاب (منهاج السنة النبوية في تقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق محمد رشاد سالم. ونحن نجد أن موضوع نقض الشيعة وردهم وتكفيرهم سبق أبن تيمية من قبل الغزالي، أبو حامد الغزالي، ت٥٠٥ هـ، ١١١١م وكتابه (فضائح الباطنية) و(حجة الحق في الرد على الباطنية).

٤. انظر : عبد الأمير عيسى الاعرجي ، مصدر سابق ، ص ١٠-١١

*. داعش هو (تنظم الدولة الإسلامية) وكانت تسمى بالدولة الإسلامية في العراق و الشام و الذي يعرف اختصارا بداعش وهو تنظيم مسلح يتبع فكر جماعات السلفية الجهادية، ويهدف اعضاؤه حسب اعتقادهم الى إعادة الخلافة الإسلامية و تطبيق الشريعة ويتواجد افراده وينتشر نفوذه بشكل رئيسي في العراق و سوريا مع انباء بوجوده في مناطق أخرى مثل جنوب اليمن وليبيا وسيناء وأزواد و الصومال وشمال شرق نيجيريا و باكستان و موزنبيق والنيجر . وتزعم هذا التنظيم أبو إبراهيم القرشي حتى مقتله في فبابر ٢٠٢٢ و لحقه أبو الحسن الهاشمي القرشي ابتداء من مارس ٢٠٢٢. انظر ar.m.wikipedia. org

٥. أنظر: م.م. مؤيد جبار حسين ، (قراءة في فكر تنظيم داعش في ضوء كتابه أدارة التوحش، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد الثالث عشر، العدد الرابع، انساني، ٢٠١٥،ص١ .وتجدر الإشارة الى ان ابي بكر البغدادي قد قتل في الغارة الامريكية على وكره في سوريا في أكتوبر ٢٠١٩م.

٦. أنظر: د. مازن شندب ، داعش. ماهيته نشأته أرهابه أهدافه ستراتيجيته، ط١، الدار العربية للعلوم ناشران، بيروت ، ص٥٤ .

٧. مؤيد جبار حسن، قراءة في فكر تنظيم داعش، ص٨. توفلر، الفين وهيدي تفلر، إنشاء حضارة جديدة سياسة الموجة الثالثة، ترجمة حافظ الجمالي، ط١، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨.

٨. **انظر م. د. وائل منذر حسون و ا.م .د ولاء مهدي الجبوري واخرون ، دراسات في حقوق الانسان ، ط١ ، دار قناديل ٢٠١٧ ، ص٤٩-٥٠** . سليمان، منتهى طالب، تطور مفهوم الإرهاب في الفكر الغربي، بحث غير منشور.